تقنية السيناريو عند كاظم الحجاج
في قصيدته (سيناريو موت جندي في أرض أخرى)

دكتور/ رجب أحمد عبد الرحيم حسن
أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد
كلية دار العلوم – جامعة المنيا

ملخص الدراسة:

تسعى هذه الدراسة لاستجلاء تقنية السيناريو في قصيدة : (سيناريو موت جندي في أرض أخرى) للشاعر العراقي كاظم الحجاج، تلك القصيدة الإنسانية العالمية التي تدين الحروب بين البشر عموما، دون النظر للون، أو جنس، أو مذهب، ولكي يوصل الشاعر خطابه، فقد استعان بتقنية السيناريو. فالسيناريو من أنجح الوسائل في التعبير عن المضمون في تلك القصيدة؛ نظرا لأنه متحكم في مسيرة الأحداث والشخصيات، تحكما لا يمكن الخروج عنه، وهذا ما يحدث في الواقع، فالساسة والقادة وحدهم، هم من يرسمون سيناريو الحروب البغيضة، ويقع فيها الجنود الأبرياء، ولا يستطيعون الفكاك من الخط المرسوم لهم. ومن هنا جاءت القصيدة عبارة عن لقطات، كل لقطة تعبر عن حدث معين، وبتجميع تلك اللقطات يكتمل الخطاب الذي يتبناه الشاعر في نهاية المطاف. ولكي أوفي خطة البحث حقها فقد استعنت بالمنهج المنهج الوصفي التحليلي، دون أن أغفل بعض أدوات المنهج الفني حتى تتضح الرؤية والأداة، وقد جاء البحث في مقدمة، ومبحثين وخاتمة، تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع، وسبب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث. وجاء المبحث الأول بعنوان: السيناريو وكاظم الحجاج. والمبحث الثاني بعنوان: توظيف تقنية السيناريو في قصيدة (سيناريو موت جندي في أرض أخرى). وتوجت الخاتمة بنتائج البحث وتوصياته.

الكلمات المفتاحية: (فن السيناريو – القصيدة المعاصرة – كاظم الحجاج – الحروب – السينما– الفنون البصرية).

Study summary :

This study seeks to clarify the scenario technique in the poem: (Scenario of the death of a soldier in another land) by the Iraqi poet Kazem Al-Hajjaj, that universal humanitarian poem that condemns wars between people in general, without regard to color, gender, or sect. In order to convey his speech, the poet used Scenario technology. The scenario is one of the most successful means of expressing the content in that poem, since it controls the course of events and characters, a control that cannot be deviated from, and this is what happens in reality. Politicians and leaders alone are the ones who draw the scenario of hateful wars, in which innocent soldiers fall. They cannot break away from the line drawn for them. Hence, the poem consists of snapshots, each snapshot expressing a specific event, and by collecting these snapshots, the speech that the poet adopts in the end is completed. In order to do the research plan justice, I used the descriptive analytical approach, without neglecting some of the tools of the technical approach until the vision and the tool become clear. The research came in an introduction, two sections and a conclusion. I spoke in the introduction about the importance of the topic, the reason for its selection, previous studies, and the research plan. The first research was titled:

Keywords: (screenplay art - contemporary poem - Kazem Al-Hajjaj - wars - cinema - visual arts).

المقدمة:

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ثم الصلاة والسلام على نبي وضاء، يجلو الظلام، وبوجهه يسقى الغمام، وبعد.

فمازالت القصيدة العربية في تطور مستمر، منذ نشأتها إلى يومنا هذا، فالفن عموما لا يكف عن التحليق والتجريب المستمر، ولقد انتقل الشعر من الغنائية إلى التجريب الحداثي؛ متأثرا بتغيرات العصر، وما اجتاحه من تقنيات مختلفة، فالشعر وليد عصره، وابن بيئته، وابن مجتمعه، يتطور بتطور العصر، وبتقنياته المختلفة؛ لذا كانت علوم العصر وفنونه، ذات تأثير ملحوظ على القصيدة المعاصرة. فلقد تخطت القصيدة المعاصرة، الدائرة اللغوية، ودخلت في حدود الكتابة بالصورة البصرية.

ومن هنا استعارت القصيدة الحديثة، تقنيات الفنون المختلفة، كالمسرح، والسينما، والفنون التشكيلية، وكانت تقنية السيناريو من التقنيات التي استعارتها القصيدة من فن السينما، فالسيناريو هو المخطط التفصيلي الذي يعده كاتب السيناريو؛ من أجل تحويل رواية، أو قصة مكتوبة، لعمل سينمائي مرئي، فهو يصف تسلسل الأحداث، والمكان، والزمان، والشخصيات بعناية وتدقيق .

من هنا ظهرت للوجود قصيدة السيناريو المتأثرة بتلك التقنية في السينما، حيث قام الشاعر المعاصر بتقطيع قصيدته إلى لقطات متتابعة، ورتبها ترتيبا معينا، يخدم وجهة نظر كاتب القصيدة، فأحيانا يقدم لقطة تستحق التأخير، وأحيانا يدخل لقطة خارجية لا تمت للقصيدة بصلة، وكأننا أمام شاشة عرض سينمائي، لا قصيدة مكتوبة، وصارت الصور الشعرية اللغوية، صورا متحركة، وصارت الكتابة بالضوء لا بالحبر، وصار متلقي القصيدة غارقا في بحر كبير، من الطرافة، والدهشة، وكسر أفق التوقع.

وقد أغوت هذه التقنية بعض شعراء الحداثة، منهم: عز الدين المناصرة في قصيدته: (كيف رقصت أم علي النصراوية)[1]، وبلند الحيدري في قصيدته:(حلم في أربع لقطات)[2]، وسعدي يوسف في قصيدته:(شعاب جبلية)[3]، وكاظم الحجاج صاحب دراستنا تلك، وغيرهم.

وتسعى هذه الدراسة لاستجلاء تقنية السيناريو في قصيدة: (سيناريو موت جندي في أرض أخرى)، تلك القصيدة الإنسانية العالمية التي تدين الحروب بين البشر عموما،

(١) عز الدين المناصرة: الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات مجلة اتحاد كتاب الانترنت المغاربة ، يناير ٢٠١٤م، ج٢، ٤٣٤.

(٢) بلند الحيدري: الأعمال الكاملة، دار سعاد الصباح، الكويت، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، ص ٥٥٣.

(٣) سعدي يوسف : ديوان غرفة شيراز، بيروت، منشورات الجمل، بيروت– بغداد، ط١/ ٢٠١٤م ، ص ٢٤.

دون النظر للون، أو جنس، أو مذهب، ولكي يوصل الشاعر خطابه، فقد استعان بتقنية السيناريو. فالسيناريو من أنجح الوسائل في التعبير عن المضمون في تلك القصيدة، نظرا لأنه متحكم في مسيرة الأحداث والشخصيات، تحكما لا يمكن الخروج عنه، وهذا ما يحدث في الواقع، فالساسة والقادة وحدهم، هم من يرسمون سيناريو الحروب البغيضة، ويقع فيها الجنود الأبرياء، ولا يستطيعون الفكاك من الخط المرسوم لهم. ومن هنا جاءت القصيدة عبارة عن لقطات، كل لقطة تعبر عن حدث معين، وبتجميع تلك اللقطات يكتمل الخطاب الذي يتبناه الشاعر في نهاية المطاف.

الدراسات السابقة:

لم تدرس تقنية السيناريو في قصيدة (سيناريو موت جندي في أرض أخرى) – فيما أعلم– من قبل، ولكن دُرست تقنية السيناريو في قصائد أخرى نذكر منها :

- دراسة أستاذنا الدكتور علي عشري زايد لقصيدة:(حلم في أربع لقطات) للشاعر بلند الحيدري، في كتابه: (عن بناء القصيدة العربية الحديثة)، والدراسة في حدود صفحتين [١].
- دراسة رسول بلاوي وزينب دريانورد بعنوان : (تقنيّة السيناريو السينمائي في قصيدة– شعاب جبلية– للشاعر سعدي يوسف) [٢].
- دراسة محمد الصفراني بعنوان : (التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث من١٩٥٠–٢٠٠٤م) ، [٣].حيث قام الباحث في هذا الكتاب بإظهار قدرة الشاعر الفائقة على توظيف مقتضيات التعبير السينمائي في قصائده، ومن أهم التقنيات السينمائية التي قام بتطبيقها على الشعر هي تقنية السيناريو.
- ومن أهم المقالات التي تناولت تقنية السيناريو في الشعر المعاصر،مقال (جماليات السينما في الشعر (شعر كاظم الحجاج نموذجا) [٤] للدكتورة بشرى البستاني، حيث أشارت الباحثة في هذا المقال إلى علاقة الشعر بالسينما، كما أشارت بصورة عابرة لتقنية السيناريو السينمائي. وقامت بتحليل قصيدة (مساء داخلي) لكاظم الحجاج حيث كشفت عن دور تقنية السيناريو في تقطيع هذه القصيدة إلى لقطات صورية، ودلالة ذلك فنيا وخطابيا.

---

(١) ينظر: الدكتور على عشرى زايد ، عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، مكتبة ابن سينا، الطبعة الرابعة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢.

(٢) رسول بلاوي وزينب دريانورد، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس بوشهر، إيران، السنة العاشرة، العدد التاسع والعشرون، ربيع وصيف١٣٩٨م ، ٢٠١٩م. ص ٤٥–٦٦.

(٣) محمد الصفراني ، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث ، النادي الأدبي بالرياض، والمركز الثقافي العربي بالدار البيضاء، ط١ / ٢٠٠٨م . ص: من١٩٥٠–٢٠٠٤.

(٤) دكتورة بشرى البستاني: جماليات السينما في الشعر (شعر كاظم الحجاج نموذجا) ،مجلة رسائل الشعر، ع٢، نيسان٢٠١٥م، ص٦١.

هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة الكشف عن كيفية توظيف تقنية السيناريو في القصيدة المعاصرة، ولاسيما القصيدة موضوع الدراسة، فالفنون البصرية كانت معينا خصبا للقصيدة المعاصرة، حيث استقت كثيرا من تقنياتها؛ من أجل توصيل عدة دلالات للمتلقي.

أسئلة الدراسة :

هذه الدراسة تحاول الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- كيف استطاع كاظم الحجاج أن يوظف تقنية السيناريو في قصيدة: (سيناريو موت جندي في أرض أخرى) ؟
- ما هي الدلالات الفنية والموضوعية لهذا التوظيف ؟
- هل تحمل تقنية السيناريو القارئ (المتلقي) على إنجاز ما يريده المرسل (الشاعر) ؟

منهج الدراسة:

تسعى هذه الدراسة لمعالجة قصيدة: (سيناريو موت جندي في أرض أخرى) للشاعر العراقي كاظم الحجاج، معالجة فنية معتمدة في تحليلها على تقنية فن السيناريو التي بنى عليها الشاعر قصيدته، فبالإضافة للمنهج الفني الذي كان عدتي في التحليل، استخدمت كذلك المنهج الوصفي التحليلي؛ حتى أستطيع أن أظهر المشاهد السيناريوية للمتلقي من زواياها المختلفة؛ محاولا تحليل كل مشهد، وربط المشاهد مع بعضها، للخروج بصورة مكتملة لما يحاول الشاعر توصيله للمتلقي.

خطة الدراسة

تتكون خطة الدراسة من مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المقدمة تشمل: الدراسات السابقة، وأهداف الدراسة، وأسئلة الدراسة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

المبحث الأول: السيناريو وكاظم الحجاج.

المبحث الثاني: توظيف تقنية السيناريو في قصيدة (سيناريو موت جندي في أرض أخرى) لكاظم الحجاج.

الخاتمة: وبها أهم النتائج والتوصيات

المبحث الأول: السيناريو وكاظم الحجاج

أتحدث في هذا المبحث، عن فن السيناريو وأهميته في السينما كأداة مهمة في الفن المرئي، وكيف وظفتها القصيدة المعاصرة؛ لتوصل من خلالها رسائل مكتنزة بالدلالات المختلفة للمتلقي، كذلك أُعرج على الشاعر العراقي كاظم الحجاج سريعا، لنتعرف عليه عن كثب، ولاسيما عالمه الشعري المتفرد.

أولا: فن السيناريو:

السيناريو من التقنيات الفنية الحديثة التي عرفت مع ظهور فن السينما، فالسيناريو هو العمود الفقري، والجزء الأساسي لنجاح أي فيلم سينمائي ،سواء كان هذا الفيلم طويلا، شريطا قصيرا، أم وثائقيا ، وكذلك بالنسبة لأي عمل تلفزيوني مهما كان نوعه.

والسيناريو هو عملية إعداد القصة لتصبح فيلما, " وتحويلها إلى مناظر، ولقطات، و تحديد التفاصيل، بكل لقطة من ديكورات , وتوقيت , وغير ذلك مما تستلزمه عملية تحويل القصة من عمل مقروء إلى عمل مشاهد "[(١)] فالسيناريو يصف كل شيء، ويجهز كل شيء في القصة المكتوبة، كالأصوات، والموسيقى، والشخوص، والفضاء الداخلي، والخارجي، والديكور والاكسسورات، وغيرها، وهذا يساعد المخرج في تنفيذ هذا السيناريو بسهولة، فكل ما يكتبه معد السيناريو، سيتحول مع المخرج من الكتابة الصامتة، إلى كيان حي، يتحرك على الشاشة أمام الجمهور. فالسيناريو يعد الخطة، ويقوم المخرج بتنفيذها.

ويُعرّف سيدفيلد السيناريو بأنه" قصة تُروى بالصور, والصور المتحركة هي وسط مرئي، ينقل على نحو درامي الأحداث الرئيسة في قصة ما، وبغض النظر عن نوع القصة لا بد أن يكون للسيناريو بداية ووسط ونهاية[(٢)]".

والسيناريو يخضع فنيا لانتقائية كاتبه، فهو يقوم بترتيب عناصر القصة بطريقة معينة "تكثف بصرياً, وتخلق وحدة كاملة تقدم العنصر الأكثر أهمية في النص؛ لأنه الوحدة المحددة للفعل، وهو المكان الذي تُروى فيه القصة" [(٣)].

(١) دكتور على عشرى زايد : عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، ص ٢٢١.

(٢) سدفيلد : السيناريو، ، ترجمة سامي محمد، دار المأمون للترجمة والنشر، ١٩٨٩ م ، ص ٢٣.

(٣) السابق، ص ١٠٣، ١٠٤ .

وهناك قواعد لكتابة السيناريو ينبغي لكتاب السيناريو الالتزام بها منها[١] :

- **فكرة الفيلم:** ينبغي على كاتب السيناريو أن يكتب فكرة الفيلم باختصار، قبل أن يشرع في كتابة السيناريو. وينبغي لفكرة الفيلم أن تعرض بوضوح الشخصية الرئيسية والانقلاب الأولي الذي سيطلق الدينامية السردية، ونوع الفيلم إذا كان ذلك ممكناً. مثل:(محام ورب أسرة تقاضيه، امرأة عاش معها مغامرة عاطفية).
- **الملخص:** نسخة مطورة عن الفكرة، من حيث أن كاتب السيناريو يصف في الملخص المفاصل الدرامية الكبرى في الفيلم. وبذلك تظهر، منذ تلك اللحظة، البنية ثلاثية الفصول، أي بداية الفيلم ووسطه ونهايته (التمهيد، التطوير وحل العقدة).
- **المعالجة:** هي صيغة شديدة التطور عن الملخص. وهي وثيقة طويلة إلى حد ما قد تبلغ عشرين صفحة، أو أكثر، في الأفلام الطويلة. ويتم في وثيقة المعالجة تطوير القصة بكليتها. وتقترب المعالجة إلى حد ما من صيغة الرواية، وهي تصف الفيلم بكليته مشهداً إثر آخر، ولكن دون أي تقطيع متسلسل في هذه المرحلة.
- **بيان النوايا:** بيان النوايا هو نص من صفحة ونصف إلى صفحتين كحد أقصى. وهو يسمح للقارئ (لجان، مسابقات، منتجين) أن يفهم، من جهة، الأسباب التي دفعت إلى كتابة هذا السيناريو.
- **الاستمرارية الحوارية** : يتعلق الأمر هنا بتقطيع فيلمك إلى مشاهد، ووضع حوار للشخصيات.
- **التقطيع:** ويقصد به تقديم الفيلم على شكل تقطيعات متتالية، بحيث يقدم كل مشهد بصورة مستقلة عن المشاهد الأخرى.
- **الوصف:** يمثل الوصف، إلى جانب الحوار، جسد الاستمرارية الحوارية. فعلى كاتب السيناريو أن يصف الأماكن والشخصيات والأفعال، وأن يكتب حوارات كل مشهد. وعلى كاتب السيناريو أن يكتب الحوار بالفعل المضارع، وأن تكون الجملة بسيطة.

(١) لخصنا هذه القواعد من فرانك هارو: فن كتابة السيناريو، ترجمة: رانيا قرداحي، المؤسسة العامة للسينما، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٣م، ص١١ ، ص ١٣ ، ص ٢٠ ، ص ٢٢ ، ص ٢٤ ، ٢٦ .

ثانيا: تقنية السيناريو في القصيدة المعاصرة:

في حياته، كان الفنان العالمي بيكاسو يقول: الفنون جميعها واحدة؛ إذ تستطيع أن تكتب صورة بالكلمات، مثلماً تستطيع أن ترسم المشاعر في قصيدة .

فالفنون لا تنفصل بعضها عن بعض، فقد أفاد الأدب من السينما، مثلما استفادت السينما من الأدب، وكذلك هو الحال مابين الرسم والشعر والموسيقى، ومن هنا أخذت القصيدة المعاصرة من الفنون الكثير والكثير، وهذا جعلها تنتقل من الغنائية والخطية القديمة، إلى آفاق فكرية رحبة.

فمشاهد القصيدة السيناريو إذن، تتشكل من مشاهد متتابعة ومتباينة، وتعتمد على اللقطة التي ترتبط بخيط دلالي مع اللقطة السابقة لها، واللاحقة بها، وهذا الخيط الدلالي الذي يربط مشاهد القصيدة ولقطاتها جميعاً، هو عنوان وحدتها العضوية التي صارت مع انفراط منظومات الدلالة ــ تتشكل بطرائق جديدة أكثر خفاءً، وأشدّ إيغالاً في النص مما كانت عليه، بحيث تنتهي المشاهد إلى شريط شعري، يقابل الشريط السينمائي.

ولقد وظف كثير من الشعراء الحداثيين، تقنية السيناريو تلك، حتى أن بعضهم جعل السيناريو عنوانا للقصيدة. من ذلك قصيدة (مساء داخلى – قصيدة سيناريو) لكاظم الحجاج. كذلك بلند الحيدري في قصيدته: (حلم في أربع لقطات) [(١)]، كذلك سعدي يوسف في قصيدته: (شعاب جبلية). وهذا جعل المتلقي يذهل بما تحمله القصيدة المعاصرة من إمكانات رائعة، ومفاجآت عديدة تكسر أفق التلقي، وتجعل المتلقي يذهل ويتحرك نحو الفعل والتغيير والتفاعل، وهذه رسالة القصيدة المعاصرة، ولاسيما قصيدة السيناريو.

ثالثا: كاظم حجاج:

الشاعر كاظم الحجاج [(٢)] شاعر عراقي، بصري، جنوبي، نبيل، وكريم، متفرد في أسلوبه، مذهل في تعبيره، يقتنص اللقطة الشعرية في براعة تذهل المتلقين، وتكسر أفق توقع القارئين، وكيف لا وهو ، "حامل المبدأ الإنساني، متعدد القدرات، ما بين الشعر،

(١) بلند الحيدري: الأعمال الكاملة، ص ٥٥٣.

(٢) كاظم الحجاج هو شاعر عراقي من مواليد البصرة ١٩٤٢م، ينحدر من مدينة الهوير في محافظة البصرة جنوب العراق. يحمل كاظم الحجاج بكلوريوس شريعة وآداب من كلية الشريعة جامعة بغداد ١٩٦٧م، أصدر مجموعته الشعرية الأولى (أخبرا تحدث شهريار) بغداد ١٩٧٣م. مجموعته الشعرية الثانية (إيقاعات بصرية) بغداد ١٩٨٧م. مجموعة شعرية ثالثة (غزالة الصبا) عمّان ١٩٩٩م. مجموعة شعرية رابعة (مالا يشبه =الأشياء) بغداد ٢٠٠٥. كتب للمسرح أربع مسرحيات، عرضت منها ثلاثا، وفازت اثنتان منها بجوائز. يكتب عمودا صحفيا أسبوعيا في صحيفة (الأخبار) البصرية منذ صدورها في آب ٢٠٠٣ عنوانه (بهارات). (ينظر ترجمته، موقع مجلة الكلمة الإلكتروني، http://www.alkalimah.net وكان متاحا بتاريخ ٣٧ / ١٢ / ٢٠٢٣م، الساعة ١:٣٥ صباحا).

والمسرح، والكتابة الصحفية، والتأليف، وأن منتجه الشعري على قدر من الاتساع والتنوع"[١].

ويعد كاظم الحجاج، من أهم شعراء العراق والعرب، منذ ستينيات القرن الماضي حتى الآن، فهو شاعر يكتب الشعر بأشكاله الثلاثة العمودي، يقول محمد على شمس الدين:" هو ليس شاعر فنتازيا شعرية، كما هي قصائد كثيرة لسعدي يوسف على سبيل المثال، كما أنه ليس بشاعر وجدان مجروح بمخالب عاتية، كما هي أشعار بدر شاكر السيّاب، كما أنه ليس بشاعر أساطير وكهوف وطواطم وأسرار، كما هو عبد الوهاب البياتي... ولكنه شاعر عين ذكيّة ولاقطة وناقدة في آن... لاقطة للجمالية، وناقدة للحال، كقوله على سبيل المثال:"حين ابتسمت/ وتمدّد شمع الخدينْ/ صارت شفتا هالي قلباً / لو ضحِكَتْ لانشقّ اثنينْ"من قصيدة لقاء إذاعي"[٢] .

كما أن عالم كاظم الحجاج، يتشكل" من جمل، وعبارات، يغلب عليها بساطة التأليف، ولغة يومية مألوفة، لبناء عالم قريب من مجريات الحياة في حركتها ورتابة إيقاعاتها، وهو لذلك ينشئ عالما موحدا، فيه حنين جارف للحياة البسيطة المتآلفة والمتحابة ، حياة العراقي الجنوبي".[٣]

فمن خلال معاينة منجز كاظم الحجاج الشعري، نجد أن أسلوبه، يتميز ببساطة لغته، وتفرده، وميله إلى بناء عالم ساخر ممتع، تحكم نهايات قصائده مفارقات تكسر أفق التوقع، تضفى على القصيدة نكهة لذيذة، وتميزا خاص به، وهذا يتضح في أغلب دواوينه، والمفارقات الساخرة ،" لا تنتمي إلى المفارقات اللغوية التي ابتكرها الشعراء العرب، من خلال المجازات الشعرية المعروفة، كالاستعارة، والكناية، والتشبيه وغيرها، بل تنتمي إلى بنية الصورة الشعرية المستقاة من حياة الناس، وتوظيف مفردات الطبيعة وغيرها، مما يحيط بالإنسان، أو استخداماته المتنوعة، إضافة إلى المجازات الحديثة التي كرستها قصيدة النثر، في الاستفادة من الفنون المجاورة، كالسرد، والسيناريو، والحوار"[٤].

لقد استطاع كاظم الحجاج بمهارة فائقة، أن يزاوج مابين الشعر والسيناريو، وهذه التجربة عنده، تمتاز بذلك الإبداع والغنى الذي حققه على مستوى القصيدة، شكلا

(١) دكتور محمد طالب غالب الأسدي: بناء القصيدة في شعر كاظم الحجاج ، ديوان غزالة الصبا أنموذجا، مجلة دراسات البصرة، السنة الثانية عشرة، العدد ٢٤، ٢٠١٧م ، ص ١٢٩.

(٢) محمد علي شمس الدين : «غزالة الصبا» ديوان لكاظم الحجاج..دم الغزالة يسيل... شعراً في البصرة ، صحيفة المدى الألكترونية، ١٠/ ٥ / ٢٠١٧م.

(٣) جمال الشبيبي: عالم خارج هموم الذات، موقع الحوار المتمدن الإلكتروني – العدد: ٣٩١١ – ٢٠١٢ م.

(٤) جمال الشبيبي : كاظم الحجّاج .. والسخرية المبدعة، بحث قدم بمهرجان إربد في نسخته : (٣٢) ونشر بصحيفة الصباح الجديد، الإلكترونية ،http://newsabah.com/newspaper وكان متاحا بتاريخ ٢٣/ ١/٢٠٢٤م. الساعة: ٩:١٢م.

ومضمونا، في عملية المكون الشعري المتفرد والتي استخدم فيها فن السيناريو ببراعة تامة ، وذلك متأت من خلال دراسته لهذا الفن في مقتبل حياته والتي عززها بممارساته في كتابة قصائد كثيرة بتقنية السيناريو، فقد استخدمها كثيرا في قصائده من ذلك قصيدة : عبور غزة [١]. سيناريو موت جندي في أرض أخرى [٢] ، مساء داخلي (قصيدة سيناريو) [٣]، نشيد النخلة [٤]. وغزالة الصبا [٥]. وهذا يدل على إعجابه بتلك التقنية المهمة التي خدمة ما يريد أن يوصله للمتلقي من رسائل مختلفة.

(١) كاظم الحجاج ، الأعمال الكاملة، ص ٢٧.
(٢) السابق: ٣٠.
(٣) السابق: ٤٦.
(٤) السابق : ١٤١.
(٥) السابق: ٦٩.

المبحث الثاني: توظيف تقنية السيناريو في قصيدة: (سيناريو موت جندي في أرض أخرى)

الشاعر كاظم الحجاج، كان صاحب خبرة في السيناريو وكتابته، فهو صحفي وكاتب وشاعر؛ لذا نجده يطبق قواعد كتابة السيناريو في تلك القصيدة، فعنوان القصيدة : (سيناريو موت جندي في أرض أخرى)، يعد بمثابة الفكرة العامة التي ينبغي أن يكتبها كاتب السيناريو، ليلخص الفيلم، وهو ما قام به الشاعر هنا فهذه الجملة: ترسم الفكرة العامة لأحداث القصيدة، وهي تجيب باختصار: عما تتكلم عنه القصيدة ؟ فالفكرة العنوان تلخص موضوع القصيدة في أن جنديا مجهولا سيموت وحيدا في أرض أخرى مجهولة، والشاعر هنا يرسم الفكرة، بدون تعريف، أو تحديد للأزمنة، والأمكنة، والأشخاص، لتعيش عالمية الفكرة في الزمان والمكان، وتبين أن الحرب في أي مكان وزمان، لها ضحايا خلفهم أسر، كانوا ينتظرون عودتهم.

وعبر خمس عشرة لقطة، من هذا السيناريو/ القصيدة، أتيح للشاعر الانتقال بمتلقيه بين فضاءات الحياة المختلفة، حيث نشاهد في القصيدة [١]: فظائع الحرب (اللقطة ١)، البيت (٢)، البيت (٣)، البيت مرة أخرى(٤)، الحرب (٥)، غرفة نوم الجندي(٦)، الحرب (٧ ، ٨) ، الحب (٩، ١٠)، معرض أسلحة (١١)، البيت (١٢)، الجامعة مرة أخرى(١٣)، الأغنية (١٤)، لافتة النعي (١٥)، الحب (١٦).

وقد قام الشاعر في تلك اللقطات، باستخدام تقنية من تقنيات كتابة السيناريو، وهي تقنية التقطيع " حيث قدم القصيدة، كما يقدم كاتب سيناريو الفيلم، على شكل تقطيعات متتالية، بحيث يقدم كل مشهد، بصورة مستقلة، عن المشاهد الأخرى"[٢] .

ويلاحظ أن الشاعر لم يضع ديكورا ثابتا، أو متغيرا، لمَشاهد القصيدة، وإنما اعتمد الأسلوب التصويري من أجل تجاوز التشابه المألوف في كتابة القصيدة / المسرحية ، ولكي يُخرج القصيدة من محددات الزمان والمكان.

ففي اللقطة الأولى من سيناريو القصيدة، يسخر الشاعر الإنسان من النصر المزعوم حيث يقول:

(١) لقطة أولى

خوذٌ خلَّفتهَا هزيمةُ جيشِ الغُزاة

(١) كاظم الحجاج: الأعمال الكاملة، ٣٠- ٣٦.

(٢) فرانك هارو: فن كتابة السيناريو ، ص ٢٤.

خوذٌ للجنودِ – المُشاةْ
يرتِّبُها نسقٌ صَارمٌ
وتقودُ تقدَّمهَا سُلحفاة

ففي هذه اللقطة، تظهر قاعدة الكتابة الشكلية لفن السيناريو، حيث يُعنون كاظم الحجاج للقطة بالرقم (١) ويسميها: لقطة أولى، ويضع السطور الشعرية في منتصف الصفحة.

ثم الشاعر/ كاتب السيناريو، يوصف الأشياء الموجودة في اللقطة من أسفل لأعلى. حيث يركز على وصف الخوذ الحديدية، فيجعلها تتصدر المشهد أكثر من لابسيها، فالمشهد يبدو وكأنه حديد في حديد، لا روح فيه ولا شعور ولا إحساس.

ويبدأ المشهد بالموت والذعر، فهنا خوذٌ للقتلى وللفارين، ثم تصطف خوذ الجنود المشاة الذين طردوا الغزاة، وهم في سيرهم، البطئ الممل يشبهون السلحفاة.

ويلاحظ أن الشاعر هنا لم يصف الزمان، ولا المكان، ولا البيئة، ولا الأشخاص في ذلك المشهد، كما يفعل كتاب السيناريو، بل انتقى في وصفه، وصف الخوذ الحديدية فقط، الملقاة، والمتحركة، ولم نسمع حوارا في المشهد ولا كلاما، وقد استطاع الشاعر بذلك أن يوصل الفكرة، والشعور للمتلقي، والمشاهد. فالحرب لا قلب لها، ولا شعور، وهي لا تفرق بين بشر، وبشر، فالحرب تأكل الأخضر واليابس، الكبير والصغير، الأبيض والأسود.

وفي هذا المشهد، لم يذكر لنا الشاعر أية معلومة عن بطل تلك القصيدة الجندي المجهول، ولم يسلط عليه الكاميرا الشعرية، وهل هو بين الأحياء ؟ أم بين الأموات ؟ هل هو من الذين فروا وخوذته ملقاة في أرض المعركة ؟ أم هو مازال يسير مع المشاة؟

وهذا يدل على أن الإنسان في الحرب، إنما هو رقم لا قيمة له، فليس من حقه الظهور، وتصدر المشهد، وهذا يدلنا على أن الجنود المجهولين هم من يكتوون بنير الحروب وسعارها، والذي يجني ثمرة موتهم، أو نصرهم، إنما هم الزعماء والساسة والقادة.

وتأتي اللقطة الثانية من هذه القصيدة السيناريو، لترينا الخلفية الاجتماعية لهذا الجندي المجهول:

(٢)
في مطبخِها تتشاءَمُ أمُّ الجُندِّي الغائبْ
من كُرسيٍ فارغْ

وإناءٍ خالٍ من أيِ طعامْ
فتهربُ دمعتَها عن عينِ أبيهِ وإخوتِهِ

عَنْوَنَ هنا الشاعر اللقطة الثانية بالعدد (٢)، وهو سيكتفي بالترتيب العددي في جميع اللقطات، وفي هذه اللقطة، يبدأ كاتب السيناريو لهذه القصيدة، في تسليط الضوء على الجندي الغائب من خلال أحاسيس الأم، وسنكتشف أن في هذه الأسرة ابنا غائبا، وأن ذلك الابن كان مع الجنود في المشهد الأول، ولا ندري إلى الآن مصيره.

وقد قام الشاعر باستنطاق المشهد، بأمور معينة؛ لينقل للقارئ أن ثمة مفقودا غائبا عزيزا في هذه الأسرة، وقد وظف الشاعر الأحاسيس المختلفة؛ ليوصلنا لذلك، ومن المعروف أن نقلَ الأحاسيس للمتلقي، يعد أصعب شيء في كتابة السيناريو. وقد استطاع الشاعر نقل ذلك من خلال :

- جعل بطلة المشهد هي الأم، حيث هي شحنة الحنان في البيت، وهي أكثر من تحس بالغائب. وقد جعل وجهها يبدو عليه الخوف من خلال التشاؤم.
- جعل المشهد في المطبخ الذي كانت تتجمع فيه الأسرة حول الطعام.
- جعل المشهد مكتملا بحضور الجميع، ألا من كرسي فارغ، وإناء خال من أي طعام.
- دل ذلك الكرسي الفارغ، والإناء الفارغ، على غياب الابن الجندي.
- يدلنا المشهد من خلال الكرسي والإناء، على أن الأم مركزة بنظراتها ناحيتهما كثيرا.
- بكاء الأم أعظم رسالة للمتلقي بحرقتها على الغائب.
- بكاء الأم بعيدا عن عين الأب والأبناء حتى لا تنغص عليهم لذة الطعام.
- يدلنا هذا المشهد على قسوة الحرب التي تعذب قلوب الأمهات، وتفرق شمل الأسر.

(٣) ولكنها
من صوت ارتباك الملاعق فوق
الصحون
تكسر بالدمع صورة كرسيه فارغا
وصورته الجامعية
وهو ... هناك .

في هذه اللقطة، وإلحاقا باللقطة السابقة، يرسم لنا السيناريو انهيار الأم، وعدم تحمل غياب ولدها، فإذا كانت في اللقطة السابقة، تواري دموعها حتى لا تنغص على أسرتها عيشهم، نجد المشهد يتطور هنا، وتتداخل فيه أدوات أخرى، تثير حساسيته ودراميته، فمن الأشياء التي تثير الشجن، صوت الملاعق المرتبكة فوق الصحون، فهي لا تستطيع أن تأكل وابنها غائب عنها، فقد كسر الدمع قلبها، وأحرق الغياب روحها، وهي تشاهد كرسيه فارغا، كما أن الصورة الجامعية المعلقة لابنها وهي تنظر إليه؛ تثير الشجون، والحزن، فقد كانت تحلم بتخرجه، ووظيفته وزفافه.

وتأتي عبارة : (وهو ٠٠٠٠ هناك) لتدلنا على ما تحدث به نفسها، من أن يكون جرى له شيء سيء، تخشى أن تبوح به؛ ولذا جاءت تلك النقاط (٠٠٠٠)؛ لتخفي لوعة داخلية في قلب الأم، ترفض أن تصرح بها.

(٤)

سِلك ذاكرة مبهم مثل خطِّ المدار

طرفاه بعيدان

بينهما زمن ودماء مؤجلة ونهار

هنا يبتدئ وهو منطفئ٠٠ ها هناك

ثابت في الخرائط فوق الجدار

ولكنه – في المدى– أربَكُ من سَمَكٍ

في الشِباك.

السيناريو هنا ينتقل من وصف ورصد الأحداث الخارجية، إلى وصف ما يقع في ضمير الأم، بتقنية الحلم، حيث يرسم لنا تذكر الأم لوليدها الجندي الغائب من خلال سلك ذاكرة مبهم طويل جدا مثل خط مدار الأرض، فهي تحس أن ابنها ابتعد جدا، بدليل قوله: عن خط المدى : (طرفاه بعيدان) ففي خيوط هذه الذكرى يسري خط من الصور السريعة تشوش عقل وقلب الأم، فهنا زمن طويل ، ودماء مؤجلة، ربما تكون دماء الغائب، أو ربما يأتي النهار، بعد هذا الليل.

هذه التذكرات تظهر وتنطفئ في قلب الأم، دون أن تصرح بها، ويكتفي السيناريو بالحركات الخارجية للأم؛ لتدلنا على مدى انهيارها النفسي.

(٥)

حين يموت الجندي غريبا
في أرض أخرى قد يحسد قاتله الموعود بموت
لا غربة فيه!

يتجه سيناريو القصيدة في هذه اللقطة، مرة أخرى إلى أرض المعركة، ليؤكد لنا أن الجندي الذي تنتظره أمه، مرشح ألا يرجع، وأنه بعد قليل سيموت غريبا في هذه المعركة. وقد نقل لنا الشاعر مونولوجا داخليا في ذات الجندي، حيث يتحسر على موته غريبا بعيدا عن أسرته وأهله ووطنه.

(٦)

تهيئُ غرفته كل يوم
وتبدل صمت الستائر
تفتح شباكه، وتنام دقائقَ
فوق وسادته لتشمَّ تلامُسَ خديهِ
(قطع سريع)

في هذه اللقطة يرجع لنا السيناريو إلي البيت مرة أخرى، حيث تنقل لنا تلك اللقطة مشاعر داخلية للأم التي ما زالت تنتظر عودة الحبيب الغائب، ولكي يوصل لنا تلك المشاعر، فقد رسم اللقطة بحيث تثير المتلقي وجدانيا، من خلال مشاهدة عناصر تثير وجدان المشاهد والمتلقي.

فأول عنصر مثير يكتب في سيناريو اللقطة للمتلقي، هو جعل الأم تهيئ غرفته كل يوم، وهذا العنصر مثير جدا للمشاهد، فهو يمثل الذروة الدرامية في اللقطة، حيث إن الغرفة بها كل ما يخص الغائب من تذكارات غالية، تثير الشجون المختلفة، ففيها أشياؤه، كتبه، ملابسه، تذكارته، خطواته، أنفاسه، أحلامه، كل هذا أثارته جملة:(تهيئُ غرفته)، وجاءت شبه الجملة: (كل يوم)؛ لتؤكد استمرارية الألم، وتجدد القلق، والشجن، والحزن.

وجاءت اللقطة الصورة : (وتبدل صمت الستائر)؛ لتوصل للمشاهد: الرتابة، والكآبة، واليأس من العودة، فصمت الستائر، يقطع الأمل، ويثير المشاعر، حيث إن أيقونة الستائر هنا تعبر عن الثبات، وعدم الحركة، وعدم التجدد، وعدم الإجابة عما يثير الأم من أسئلة تتعلق بالغائب.

ولكي تفتح الأم طاقة أمل للعودة، فإنها (تفتح شباكه)، وهذا الفعل في اعتقادها، ربما يبعد الكآبة والحزن عن غرفة الغائب؛ ولكي يثيرنا السيناريو وجدانيا أكثر وأكثر، نجد الأم تنام دقائق على سرير ابنها لتشم رائحته، وتلامس مكان خديه، من أجل إطفاء نار الشوق المتقدة والمشتعلة في قلبها .

وبهذا يكون السيناريو، قد رسم بأفعال المضارعة (**تهيئُ – تبدل– تفتح – تنام – تشمُّ**) التي تدل على الاستمرار، ما أراد أن يزلزل به وجدان المتلقي، من تعاطف مع تلك الأم الملتاعة على ابنها الجندي الغائب، كما أن أفعال المضارعة على هذا النحو؛ تدل على تكرار فعل الأم لتلك الطقوس كل يوم.

وفي نهاية ذلك المشهد من السيناريو، يكتب الشاعر عبارة: (قطع سريع)، وهي عبارة عن تعليمات يكتبها في الأصل كاتب السيناريو لمخرج العمل الروائي، وقد استخدمها الشاعر هنا؛ لينتقل بالمتلقي من جو الأم الملتاعة، إلى جو المعركة المحتدمة؛ لتبدأ اللقطة الصادمة:

(٧)

تسقط كفّ الجنديّ

على أرض ترفضها،

وتراب يأبى أن يصبح طيناً

بدماء غريب !

في هذه اللقطة، يرسم الشاعر سيناريو المشهد، بحيث يُنفر المتلقي من الحرب، أية حرب، فاللقطة تبدأ بسقوط الجندي الذي كانت الأم تتنسم عبيره منذ لحظات، فهاهو يسقط بدون رحمة، وفي هذا مفارقة بين فعل السلام الذي تمثله الأم، وفعل الحرب، فالسلام يحمي، ويربت، ويشفق، ويرحم، والحرب تسقط، وتكوي، وتقتل، وتهدم، وتحرم وتدمر.

ولكي يزيد الشاعر من صعوبة المشهد، فقد عمد الشاعر إلى مشاركة الطبيعة في مقت الحرب، إذ جعلها ترفض أن يسقط الجندي عليها، فهي ليست أرضه، لكي تحنو عليه، فهو قد جاء شارعا سيفه؛ لذا يأبى تراب تلك الأرض أن يمتزج ويتحد بدماء غريب عنه، جاء ربما مغتصبا، أو ظالما، أو مرتزقا. أو مكرها لا دخل له.

(٨)

لا تبعد ذاكرةُ المقتولِ عن القاتلِ
والنزفِ
ودائرة القتل مربّعةٌ
لتُذكّر.. بالشطرنج
(قطع)

سيناريو تلك اللقطة، يعتبر تعليقا من كاتب النص على أحداث اللقطة السابقة، فتلك اللقطة توضح أن المقتول والقاتل خاسران، حيث دائرة القتل مربعة كلوحة الشطرنج، وهذا يدلك على أن الحرب لعبة يلعبها الكبار، ويكتوي ويقع فيها الصغار. وجاءت عبارة (قطع)؛ لتنتقل بالقارئ من مشهد الحرب، إلى بداية سيرة تلك الجندي المجهول.

(٩)

(٠٠إلى)
بنت تكتب في حبٍّ
وتقبّل أوراقَ رسالتها

تأتي اللقطة التاسعة؛ لتكشف جانبا خلفيا من حكاية الجندي المجهول، حيث إن له حبيبة في مكان ما، واكتفى سيناريو اللقطة، بإحضار مشهد كتابتها رسالة لذلك الجندي بدأت بقولها إلى(٠٠٠)؛ لتعبر تلك النقاط الشكلية عن كثير من كلام الحب والغزل. وانتهت اللقطة بتقبيل الرسالة من تلك المحبة قبل أن تصل إليه، وربما يكون تقبيل الرسالة إرهاصا بشيء ما مخيف سيحدث لهذا الجندي، فتقبيل الأم لأشياء الجندي، وتقبيل الحبيبة للرسالة؛ ينذر بأن في الأفق ما لا يحمد عقباه.

(١٠)

(مزج)
يتحسس أوراق رسالتها
المدسوسة في الجيب اللاصق في القلبِ
لا يُخرجها...
خشية أن يتلفها دمه
أو.. خجلا من أن يقرأها
بأصابع مرتجفات، تتراخى للموت!

تبدأ لقطة السيناريو العاشرة بعنوان (مزج)، وهي عبارة عن تعليمات للمخرج يضعها بين قوسين، كما هي عادة كتاب السيناريو الروائي المعد للسينما، وأراد كاتب سيناريو القصيدة أن تكون اللقطتين متجاورتين ببعضهما على شاشة العرض، لإحداث رجفة فنية، وزلزلة فكرية في عقل المشاهد والمتلقي، فالمحبوبة تريد الحب، السلام، الحياة، والمحبوب – للأسف– بعد قليل سيخرج من الحياة، الجندي متمسك بالحياة، وما فيها من بذور الحب حتى النفس الأخير، لذا يرسمه سيناريو القصيدة ملقيا على الأرض، يعالج سكرات الموت إثر إصابته، مضرجا بدمائه.

وهو في تلك اللحظات العصيبة مازال متمسكا بالحياة، والسلام، والحب، ولكي يوصل لنا السيناريو تلك المشاعر، فقد جعله يتحسس خطاب المحبوبة في جيب ملتصق بالقلب، وهو يخشى أن يخرج ذلك الخطاب؛ حتى لا يتلوث بدمه، أو حتى لا تراه الحبيبة المجسدة في ذلك الخطاب، شفقة عليها، وهو يتراخى للموت في اللحظات الأخيرة.

(١١)

في معرض أسلحةٍ :

- **فوق الدبابات يطيرُ حمامٌ ساخرْ**
- **طفلٌ يسألُ صاروخا:**

- كم بيتا يمكن أن تهدم؟!

- **كهلٌ يسأل صاروخا:**

- كم بيتا يمكن أن تبني؟ !

في اللقطة الحادية عشرة، ينتقل بنا سيناريو القصيدة لمعرض أسلحة، حيث يريد كاتب سيناريو القصيدة أن يبغضنا في الحرب وأدواتها، ولكي يحدث هذا الأثر في المتلقي، فإن الحمام رمز السلام، يطير فوق الدبابات، ويسخر منها، فهي عدة الخراب والدمار، كما يوجد في اللقطة طفل، وكهل، كلاهما يرفضان عدة الحرب، فهي تهدم ولا تبني، واختار الشاعر هنا(الكهل – الطفل)؛ لأنهما أبعد الناس عن الحرب. فالكهل صاحب خبرة وفكر، والطفل صاحب روح ومحبة.

(١٢)

ذاكرة تمشي مثلَ النور:

تمسحُ خارطةَ من جُزر ومحيطاتٍ..

لتُلامِسَ خارطةً من جُزر ومحيطاتٍ ..
لتُلامِسَ وجهَ الأم
في مطبخها – الناقص كرسيا–
في ..
والطبق الفارغ .. مكسور!

ترتد هنا في تلك اللقطة ذاكرة كاتب السيناريو الذي لا ينسى الأم المكلومة، فهو يركز عليها دائما، من أجل إدانة الحرب التي تكسر قلب الأمهات، وإن حققت النصر المزعوم، فكاتب سيناريو القصيدة، ينقل الصورة، من جزر، ومحيطات بعيدة ذهب إليها الجندي المسكين الغائب، لتلامس ذاكرة القصيدة، أو ذاكرة السيناريو، وجه الأم الواقفة في مطبخها الناقص فردا أثيرا وعزيزا عليها. وركز السيناريو هنا على إظهار أشياء معينة: (وجه الأم – المطبخ – الكرسي – الطبق الفارغ). فهذه أشياء أثيرة، تنقل كمية الوجع والمعاناة. فوجه الأم يمثل خريطة المشاعر جميعا. والمطبخ رمز السعادة، فهو مكان تجمع الأسرة وقت الطعام، وهو أثمن وقت يقتنصه الناس، وهو دائما مفعم بالألفة والحب. كما أن الكرسي الناقص فردا يمثل لوعة الفقد، وعلامة على الوجع. والطبق الفارغ أيضا، يوضح أن الأسرة غائب عنها عزيز غال.

(١٣)
(قطع)
إلى أستاذ جامعي
يسأل:
- الجنود..
في إجازاتهم يدخلون إلى المكتبات
فمتى تدخل المكتباتُ..
إلى الثكنات؟!

تبدأ اللقطة الثالثة عشرة بالأمر (قطع)؛ لكي تنتقل اللقطة سريعا من بيت الأم، إلى الأستاذ الجامعي الذي يسأل الجنود الذين يدخلون مكتبات الجامعة التي يدرس بها، سؤالا إنكاريا: فمتى تدخل المكتباتُ..إلى الثكنات؟! والدكتور الجامعي يقصد: متى يغير العلم عقليات الجنود، وقادة الحروب، وينتقلون من الحرب والدمار إلى السلام، والوئام، والعلم.

ولا شك أن كاتب سيناريو القصيدة، أحضر هذه اللقطة في ذلك السيناريو، ليقول لنا إن الجندي المقتول، كان طالبا من طلبة الجامعة، وأنه حين تخرجه، سيكون له المستقبل الكبير، لكن هذا المستقبل الكبير، اغتالته الحرب ودعاتها.

(١٤)

صوتُ أغنية:

"كلما اشتعلت نارُهم فالسماءُ

بها مطرٌ باردٌ .. والحَمام

يحوّمُ فوق الحريق".

حين ننظر إلى تلك اللقطة نظنها دخيلة وطفيلية، فالناظر إليها، يجدها لا تمت للقصيدة بصلة، ويمكننا أن نستغني عنها، لكن لو فعلنا ذلك، لفقدنا كثيرا من بريق معنوي، يريده الشاعر؛ ولذا يقول جون كوين :" في اللحظة التي تدخل فيها الجملة الطفيلية إلى القصيدة, تبلغ القصيدة أعلى درجات قوتها, ولنلغ العبارة, فإن المحتوى لن يفقد كثيرا من جوهره , ولكن القصيدة ستفقد كثيرا من سلطانها"(١).

الشاعر هنا استعار للقصيدة بعض المؤثرات التي تزيدها تشويقا وتأثيرا، حيث تعد هذه اللقطة بمثابة الموسيقى التصويرية التي تحفز القصيدة، نحو التأثير الدرامي، وهي تشبه الموسيقى التصويرية لمشاهد السينما.

ففي تلك اللقطة، ينحاز الشاعر (كاتب السيناريو) ، إلى الأمل دائما، ولذا جاءت هذه اللقطة، عبارة عن أغنية الأمل، والأغنية تجسد الصراع بين الخير والشر، بين الحياة والموت، بين الحب والكره، فبالرغم من مساحة النار المشتعلة والحروب التي عاصرها الشاعر إلا أن مشهد: (الحمام يحوّمُ فوق الحريق) يعد انتصارا للخير على الشر، والشاعر كاظم الحجاج على وجه العموم يتميز– كما يقول : جميل الشبيبي " بمسحة السخرية، والمفارقات الضاحة، بالتنازع فيما بينها؛ لتكون الغلبة في نهاية الأمر للجمال، والطرافة، ورشاقة العبارة، التي تجسد إحساسا غامرا برهافة الحس، وعمق النظر إلى الحياة في تناقضاتها، وحركتها نحو الجديد ، مرددا أناشيده التي تمجد البحث عن الصفاء والحكمة، وصراع الأنا مع العالم والحياة، في أجواء الحرب التي كانت ثيمة أساسية في

(١) جون كوين : بناء لغة الشعر : ترجمة دكتور أحمد درويش، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط١/ ١٩٩٠م، ص ١٧٤.

منجزه الشعري، باعتبارها عقبة، وصدمة كبرى، لسعادة الإنسان، وتطلعه نحو الجمال والحب والعدالة" (١).

(١٥)

لافتةٌ ملطخة بالدماء مكتوبٌ عليها:

" قبل أن نبتني وطناً لنعيشَ عليهْ ،

لا بُدَّ مِن وطنٍ أوليٍّ

نموتُ له ؟!

في تلك اللقطة يستمر الشاعر في جلب أشياء خارجية لسيناريو القصيدة؛ من أجل إحداث الأثر المنشود، حيث تتداخل وتتقاطع لافتة مع لقطات السيناريو، وهذه اللافتة تعد لافتة النعي القاسي، فهي ملطخة بالدم مكتوب عليها:

(قبل أن نبتني وطناً لنعيشَ عليهْ ،

لا بُدَّ مِن وطنٍ أوليٍّ

نموتُ له ؟!)

فليس الأمر أمر حياة حسية (أكل وشرب وسكن) ، بل الأمر أمر الانتماء والحب، فالشاعر لا يريد وطنا ننتمي له والسلام، بل يريد وطنا حقيقيا يمتزج مع القلوب، ويتغلغل في الروح، وطن نضحي من أجله، ونقدم الروح رخيصة في سبيله. وطن يتشارك فيه الحاكم والمحكوم، الرأي والمشورة، لا وطنا لا يكون للمواطنين فيه كلمة ، بل ويساقون للحرب، ويصيرون أرقاما جامدة، لا رأي لهم، ولا مشورة؛ لذا جاءت اللافتة الملطخة بالدماء، بدون أن نعرف من كتبها، ولا من حملها، فهي لافتة من مجهول، فالقصيدة تحمل في ثناياها ثورة على الأوضاع القائمة، لكن الخوف من البطش جعل الجندي مجهولا، والخوذ لمجهولين ، والأسرة مجهولة، واللافتة مجهولة.

(١٦)

بنتٌ أخرى تكتبُ في حبّ

وتقبّل أُوراق رسالتها ..

في تلك اللقطة من سيناريو القصيدة، ينحاز الشاعر / كاتب السيناريو، للحياة بالرغم من تلك المآسي التي حدث للجندي وأسرته وحبيبته، حيث يرسم السيناريو هنا لوحة الأمل، فالحياة حلوة خضرة لن تنتهي، فهنا دورة جديدة للحياة ستبدأ، دورة تبث الأمل

(١) جميل الشبيبي: كاظم الحجّاج .. والسخرية المبدعة، بحث قدم بمهرجان إربد في نسخته : (٣٢) ونشر بصحيفة الصباح الجديد، ١٨ فبراير ٢٠١٨م.

لجمهور المشاهدين، حيث يركز كاتب السيناريو على محبوبة جديدة تكتب في حب، وتقبل أوراق رسالتها، فعل الشاعر ذلك؛ ليجعل قصيدته تنتهي نهاية سعيدة لا نهاية كئيبة، فإذا كان الواقع كئيبا، فلا ينبغي أن يكون الفن كئيبا أيضا، فدور الفن نقل الواقع من الحزن إلى الفرح، ومن الضيق إلى الفرج، ومن الحرب إلى السلام ، لذا جاء مشهد نهاية السيناريو يقول فيه:

صوت مع كلمة (النهاية) :

ما يدعى نصرا

في كلّ حروب التاريخْ

لا يَعدِل نصرَ الأمِّ٠٠

تحدّق في المولود٠٠ الخارج توّاً !

وعلى الرغم من أن الشاعر " بدأ قصيدته بمشهد من فضاء المعركة تتناثر فيه خوذ الجند المهزومين، فإنه يختم قصيدته بمشهد شديد الانتماء إلى الحياة، هو مشهد الولادة الذي يعلن من خلاله انتصار إرادة الحياة/ السلام ، دائما على إرادة الموت / الحروب / الكراهية. " (١)

لقد انتهت هذه القصيدة السيناريو، وقد تم فيها إدانة الحرب ومشعليها، في كل زمان ومكان، وقد استطاع الشاعر من خلال هذا السيناريو، بث الأمل، وإحياء ما مات من أحلام؛ حتى يرتفع بالمتلقي عن الواقع البغيض، فإذا كانت قسوة الواقع لا تحتم،ل فإن الفن ينبغي أن يدين الواقع، ويرسم أحلاما تتحقق ولو بعد حين.

(١) دكتور محمد طالب غالب الأسدي: بناء القصيدة في شعر كاظم الحجاج ، ص ١٣٦.

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث، رأينا كيف أن الشاعر العربي المعاصر، لا يكف عن البحث عن وسائل وأدوات مختلفة، تعبر عن رؤاه المختلفة، لاسيما مع تطور هذا العصر الذي لا يقبل خطابا وعظيا مباشرا، فكان على الشاعر المعاصر أن تكون لديه عدة وسائل، تقنع هذا القارئ الجديد والمتطور، وقد توصلت لهذه النتائج والتوصيات.

أولا: نتائج الدراسة

- القصيدة العربية المعاصرة ليست في عزلة من الفنون الأخرى (كالمسرح، والسينما، والفنون التشكيلية) فهي في حالة من التأثير والتأثر الذي أفادها في ميلها للتطور والتجريب، وتجدد الخطاب والرؤى.
- الشاعر العراقي كاظم الحجاج متفرد في أسلوبه، مذهل في تعبيره، يقتنص اللقطة الشعرية في براعة تذهل المتلقين، وتكسر أفق توقع القارئين، وكيف لا وهو، "حامل المبدأ الإنساني، متعدد القدرات، ما بين الشعر، والمسرح، والكتابة الصحفية، والتأليف.
- تعد تقنية السيناريو من التقنيات السينمائية المهمة التي أفادت منها القصيدة العربية المعاصرة، حيث قام الشاعر المعاصر بتقطيع قصيدته إلى لقطات متتابعة، ورتبها ترتيبا معينا، يخدم وجهة نظر كاتب القصيدة، ويعمق أدواته ورؤاه.
- تقنية السيناريو من التقنيات الفنية التي يخفي فيها الشاعر صوته– ربما تُقية – ويترك المناظر والصور واللقطات والمشاهد والأحداث والمواقف تتحدث بدلا منه وتدين ما يحدث في العالم ولاسيما منطقتنا العربية من حروب ودمار وتكالب على ظلم الضعفاء.
- يلاحظ أن الشاعر لم يضع ديكورا ثابتا، أو متغيرا، لمَشاهد القصيدة، وإنما اعتمد الأسلوب التصويري من أجل تجاوز التشابه المألوف في كتابة القصيدة / المسرحية ، ولكي يُخرج القصيدة من محددات الزمان والمكان.
- القصيدة التي قمنا بتحليلها في هذه الدراسة تعد وثيقة إنسانية عالية المستوى في إدانتها للحروب التي تقتل الإنسانية، وقد استطاع كاظم الحجاج أن يوظف تقنية السيناريو ببراعة وفنية، حيث تم تقطيع القصيدة للقطات تنقل لنا المشاهد المختلفة، والمشاعر المتباينة من أجل إحداث هزة فنية وفكرية تحدث الأثر المرجو عند القراء والمتلقين.

ثانيا: التوصيات

تدعو هذه الدراسة الباحثين إلى :

- بيان تأثير وتأثر الفنون الأخرى بالقصيدة العربية المعاصرة ولاسيما عند أمل دنقل والبياتي ومحمود درويش وسعدي يوسف.
- دراسة تقنية السيناريو في قصائد أخرى لكاظم الحجاج، كما في قصيدة: (نشيد النخلة. و مساء داخلي).
- دراسة تقنية السيناريو عند عز الدين المناصرة كما في قصيدة (كيف رقصت أم علي النصراوية).

والحمد لله أولا وأخيرا

المصادر والمراجع:

أولا: الكتب:

- بلند الحيدري: الأعمال الكاملة، دار سعاد الصباح، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
- جون كوين : بناء لغة الشعر : ترجمة دكتور أحمد درويش، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط١/ ١٩٩٠م.
- سدفيلد : السيناريو، ترجمة سامي محمد، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٨٩ م.
- سعدي يوسف : ديوان غرفة شيراز، بيروت، منشورات الجمل، بيروت- بغداد، ط١/ ٢٠١٤م.
- عز الدين المناصرة : الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات مجلة اتحاد كتاب الانترنت المغاربة ، يناير ٢٠١٤م، ج٢.
- دكتور على عشرى زايد ، عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، مكتبة ابن سينا، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
- فرانك هارو: فن كتابة السيناريو، ترجمة: رانيا قرداحي، المؤسسة العامة للسينما، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٣م.
- كاظم الحجاج: الأعمال الشعرية كاملة، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، العراق ط١ / ٢٠١٧م.
- محمد الصفراني ، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث ، النادي الأدبي بالرياض، والمركز الثقافي العربي بالدار البيضاء، ط١ / ٢٠٠٨م.

ثانيا: الدوريات والمجلات

- بشرى البستاني: جماليات السينما في الشعر (شعر كاظم الحجاج نموذجا) ، مجلة رسائل الشعر، ع٢، نيسان٢٠١٥م.
- رسول بلاوي وزينب دريانورد، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس بوشهر، إيران، السنة العاشرة، العدد التاسع والعشرون، ربيع وصيف١٣٩٨م ، ٢٠١٩م.
- محمد طالب غالب الأسدي: بناء القصيدة في شعر كاظم الحجاج ، ديوان غزالة الصبا أنموذجا، مجلة دراسات البصرة، السنة الثانية عشرة، العدد ٢٤، ٢٠١٧م.

ثالثا: المواقع الإلكترونية

- ترجمة كاظم الحجاج، موقع مجلة الكلمة الإلكتروني، http://www.alkalimah.net وكان متاحا بتاريخ ٣٧ / ١٢ / ٢٠٢٣م، الساعة ١:٣٥ صباحا).
- محمد علي شمس الدين : «غزالة الصبا» ديوان لكاظم الحجاج..دم الغزالة يسيل... شعراً في البصرة ، صحيفة المدى الألكترونية، https://almadasupplements.com وكان متاحا بتاريخ ٢٠٢٤/١/٢٣م.
- جمال الشبيبي: عالم خارج هموم الذات، موقع الحوار المتمدن الإلكتروني – العدد: ٣٩١١ – ٢٠١٢ م.
- جمال الشبيبي : كاظم الحجّاج .. والسخرية المبدعة، بحث قدم بمهرجان إربد في نسخته : (٣٢) ونشر بصحيفة الصباح الجديد، ١٨ فبراير ٢٠١٨م.